



13 ديسمبر 2019

من تراث فضيلة المرشد الراحل الأستاذ/ عمر التلمساني

في مقال بعنوان (حوار جدير بالاهتمام) للأستاذ/ مصطفى بهجت بدوي" يقول سيادته في كلمته المُنصِّفة، متحدِّثًا عن بعض الشباب: "ولكن أين دور القيادات والإخوان الحقيقيين الراسخين؟ لا أخألهم- وهم العقلاء الأذكياء- خفَّت عليهم مقدمات جماعة التكفير والهجرة!! كيف تغاصى هؤلاء الإخوان المسلمون عن بدهية أنّ المسلم من سلّم المسلمون من لسانه ويده؟، إني أعاتبهم...".

وأبادر فأشكر له عتابه المحمودة عواقبه، ثم أقول لسيادته إنهم بدأوا أول ما بدأوا في معتقل مزرعة (ليمان طرة)، وكان المرحوم الأستاذ "الهضيبي"- مرشد جماعة الإخوان المسلمين- لا يزال آنذاك في سجن طرة يستوفي مدة السجن التي حُكِمَ بها عليه، فلما أنهاها لم يذهب إلى بيته، ولكن أخذته سلطة ذاك الزمان إلى معتقل مزرعة (ليمان طرة)، وهناك عِلِمَ بأمر هذه الأفكار، فاستدعى أصحابها واحدًا واحدًا، وناقشهم فأظهروا الاقتناع برأيه، فيما يبدو منهم مع فضيلته، فإذا ما رجعوا إلى بعضهم البعض عادوا لِمَا كانوا عليه، وفي نفس الوقت كان الإخوان الملتزمون بتعاليم دعوتهم- المستمدة من كتاب الله وستة رسوله صلى الله عليه وسلم وأقوال السلف الصالح- كان هذا الفريق من الإخوان يلتقون بهم فرادى وجماعات؛ ليوضحوا لهم الحقائق، ولا أظن أننا نملك مع هؤلاء أكثر من هذا، وليس في أيدينا إلا سلطة الإقناع وتقديم الحجّة، ونحن في هذه الناحية لم نقصر في هذا المجال فيما أحسب، ولئن قِيلنا عتاب الأستاذ الفاضل فقد بادرنا عن طريق هذه الكلمة وما قبلها إلى تصحيح الأفهام، ولكن ما كان يلقاه هؤلاء الشباب من أنواع التعذيب- التي شرحتها محاكم الجنايات- كان أقوى في أذهانهم من أي إقناع أو محاجة.

إنني قلت وأقول وسأظل أقول إن الإسلام يحرم قتل النفس بغير حق، وأنا أدور مع الكتاب حينما دار، وهل نسي القُرّاء أنه كانت في مصر جمعية (اليد السوداء) و(القمصان الزرقاء) وغيرهما؟ قطعًا أنا لا أبيع ذلك، ولكنني أسألك ماذا وراء هذه الحملة الصاربة على الشباب المسلم؟ ولو أننا تتبعنا الأفعال التي اتُّخِذت مع هذا الشباب المسلم في سراديب السجون وحاولنا إصلاحها والقضاء عليها لَكُنَّا أقرب إلى التعقل والعدالة من تركنا للمقدمات وحُفَلتنا على النتائج.

ويعتبر الأستاذ "مصطفى بهجت بدوي"- كما عتب (المصور) من قبل، إني لم أقرأ كتاب (توسمات) لـ"شكري مصطفى" أو (الفريضة الغائبة) للمهندس "محمد عبد السلام فرج"، فَعُدري أن "التوسمات" لم يُطبع فيصبح في متناول الجميع، وأن (الفريضة الغائبة) ليس في الأسواق لا أمس ولا اليوم، والذين قرأوها حصلوا عليهما بوسائلهم الخاصة، التي لا تتوافر لديّ، هذا إلى أن ما عندي من الحصيصة الإسلامية يجعلني في عَنَى عن قراءة ما يشاع به رأي جائر أو متطرف، ولئن جلست في ندوة فإني على استعداد للردِّ على كل فقرة من فقراته إذا ما قرأها عليّ قارئ ما.

لقد عرضت- أكثر من مرة- على بعض المسؤولين أن نمكّن الإخوان من محاجّة هذا الشباب؛ لنصل إلى أمر سواي، ورغم أن هذا العرض كان منذ سنين وفي الأشهر الأخيرة إلا أن شيئًا إيجابيًا أمام هذا الطلب لم يتحقق إلى الآن، فهل ترى أننا لا نزال موضع عتاب؟

أما رأي سيادته في "جمال عبد الناصر" فهذا حُفُّه البديهي، الذي ليس لأحد أن يلومَه عليه، ولكنني أسأل سيادته مجرد سؤال: لو أن حاكِمًا قام على شعب فأطعمه الشهيء اللذيذ من المطعم، وكساه الحرير والصوف الفاخر، وأسكنه البناء الفاخر، وأركبه مسافرات الفضاء ثم صادر حرته وكنتم أنفاسه واستباح أعضائه، ونهب أمواله، وأذلَّ أهله ورجاله حتى حرّمهم الهمس فيما بينهم وبين أنفسهم، وحتى جعل من بعض الأبناء عيونًا على أهلهم، وكلُّ هذا ثابت ومقطوع بوقوعه، ثرى لو أن الأمر نما على هذا النحو أكان في هذا مفخرة لهذا الحاكم الصالح لمواطنيه.. الحرية.. العزة.. الكرامة.. الأمن.. حماية المال والمسكن والعرض، فهذه هي مقومات الشعوب المتحضرة، أما ما عدا ذلك فدهان على وبر لا ينفع الجربان، هذا في نظري هو معيار وزن الحكّام. وإني أحاول جاهدًا أن أوضح لسيادته النقاط التي سألتني عما فيها من تناقض.

أولاً: الأحزاب... إن السيد الكاتب يعلم ما يفعله المرشحون للقرور بكرسي النيابة ولسنا هناك، قد تسألني ولماذا لا تفعل كما يفعلون؟ والجواب عصمة الدين، قد تسألني ولماذا لا تسلك أنت السبل النظيفة؟ أقول إنها لم تعد تكفي، والشعب على ما هو عليه، هذا إلى جانب تدخّل السلطة، وهذا أمر مُدَوَّن!!

والأحزاب تسعى للحكم لذاته ونحن لا نسعى إليه لذاته، هذا إلى جانب ما تُولده الانتخابات من تفرقة بين العائلات ومن حزازات في النفوس، والأحزاب قد تُغيّر من برامجها حسب الظروف والملابسات، وبرنامجها حسب الظروف والملابسات، وبرنامجنا القرآني غير قابل للإضافة أو الحذف.

أما كون الأسماء لا تغير من حقيقة المسميات في شيء فهذه قاعدة أُوتِرَك عليها، غير أن الإسلام- وهو غير مقصور على الناحية السياسية، بل يشمل ضروب الحياة كلها- قد وضع لكل منها ضوابط لن نستطيع الفكاك منها، إذا أضفنا إلى ذلك أن القرآن عند ذكره للأحزاب بصفة الجمع وصفها بغير ما يرضى، وقد جاء هذا في أربعة عشر وصفاً من القرآن الكريم تقريباً، وسيادتكم تعلمون مدى حرصنا على هذا الكتاب لفظاً ومعنى، فإن الله لا يذكر شيئاً عبثاً في كتابه، ثم بعد هذا ماذا يعني الناس إن كنا حزباً أو هيئة ما دامت العبرة بالعمل الطيب والإنتاج المثمر؟ فليس في الأمر مداورة ولا تميمع ولا تهرب ولكنا واقعيون.

ثانياً: ذكرت واقعة المائة والخمسين فداً، وعندى غيرها فما حيلتي في هذا؟! ولك أن تتحقق من صدق الواقعة بالأسلوب الذي تراه، هذا إلى أن مثل هذا التصرف له دلالة التي لا تخفى على أحد، وأسأل الله أن يعينى سوء الظن بإنسان، إنما أنا ناقل، وناقل الكفر ليس بكافر.

ثالثاً: أن للمرأة في الإسلام ما ليس لغيرها في أية رسالة أخرى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:228)، ففي الوقت الذي كانت فيه بعض الحضارات التي يتغنى بها بعض أدبائنا، أمثال فلان وفلان، الأحياء منهم والأموات، تعتبر المرأة شيطاناً لا بد من اجتنابه، كان الإسلام يعطي للمرأة من حقوق ما يعطيه للرجل، ويحملها من الواجبات بعض ما يحمله الرجل، أما ذكر ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة من الآية 228) فمن ناحية السعي على طلب الرزق، وتحمل أعباء الحياة، وضبط رعاية المنزل والأبناء، هذا مع عدم الحيلولة بين المرأة وبين ما تصلح له من الأعمال التي لا تتنافى مع أئوتتها وحشمتها، وأن بعض فضليات المؤمنات كنَّ يخرجن مع المجاهدين لسقاية الماء وتضميد الجروح وإعداد القوات وما إلى ذلك.

هذا إلى أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، إن المسلمة غير ملزمة بتجهيز بيت الزوجية، ولو طبقتنا اليوم هذا النظام لتفادينا الكثير من التكاليف، فالرجل يصرف ما يلزمه لبيته وفق طاقته ومستواه، والمرأة المسلمة غير مجبرة على إرضاع وليدها إذا رأت المحافظة على جمال قوامها وتهذبل بعض أجزاء جسمها ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُم فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾ (الطلاق:6)، المرأة المسلمة لها أن تخرج بمفردها لقضاء حوائجها، ومن لم يصدق فليرجع إلى صحيح مسلم الجزء الخامس (طبعة دار الشعب).

المرأة المسلمة حرة حرية كاملة عند التصرف في أموالها وما تملك، المرأة المسلمة تتزين لزوجها كيفما شاءت، حتى لقد قال "ابن عباس"- رضي الله عنه- تطيباً لخاطرها: "إني أحب أن أتزين لها كما تتزين لي"، ولئن حرم الإسلام الكذب فقد أباحه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- للرجل عند ملاطفة زوجته، كأن يقول لها ما أجملك!! حتى ولو لم تكن كذلك.

ن الحوار لم يكن ما بدا فيه من جانبي هو رأيي الشخصي، ولكنه السمة الشائعة بين كل الإخوان الملتزمين بمبادئ الإخوان المسلمين.

نقلاً عن جريدة الأهرام المصرية - 15/2/1982م- ص 7